الأهرام

المصدر : وطنى

التاريخ : ١٩٩٢/١٢/٢٠

متاحفنا المعروفة المجهولة المتحف القبطى وأندر تراث فى العالم

الفنان القبطى حلقة الوصل بين الفراعنة والحضارة اليونانية والفن الاسلامى

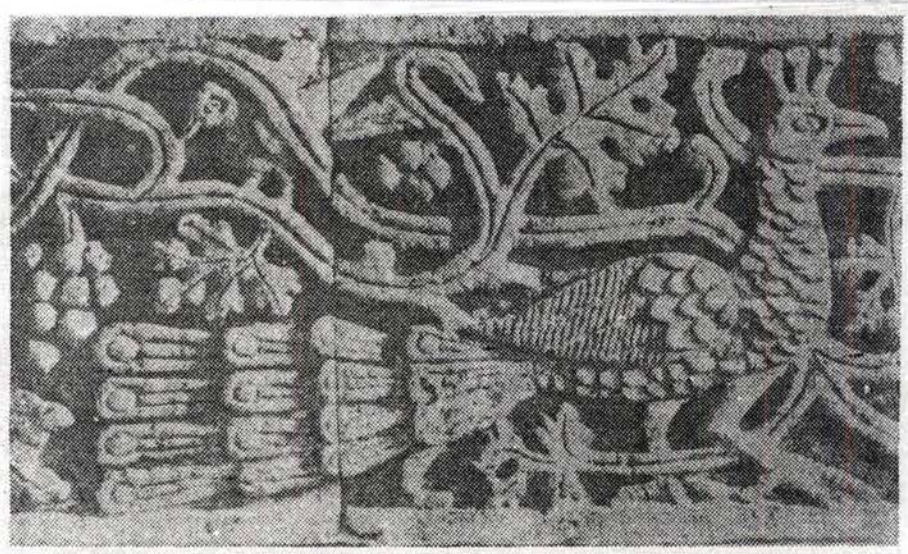

جزء من افريز من الحجر من كنيسة تمثل طاؤوسا واقفا بين أغصان الكرم وطيور صغيرة بين الاغصان وهى رمز للمطوبين فى الفردوس

يعتبر المتحف القبطى هو المتحف الحادى عشر فى سلسلة متاحفنا المعروفة المجهولة .. وقد وقع الاختيار عليه لضمه الى سلسلة المتاحف التى قامت (وطنى) بنشر تحقيقات عنها .. يضم المتحف بالطابق الثانى منه اقدم كتاب فى العالم (مزامير النبى داود) الموجودة بالقاعة رقم ١٠ بالمتحف .

ويقع المتحف القبطى ملاصقا للكنيسة المعلقة بمصر القديمة .. ويمكن الوصول اليه عن طريق مترو الانفاق محطة مارجرجس .

قصة الانشاء

يعتبر العالم الاثرى الشهير ماسبيرو مدير مصلحة الاثار المصرية سابقا اول من اهتم بجمع الاثار القبطية ، وانشأ بالمتحف المصرى قسما خاصا بها ، واتسع هذا القسم واعيد تنظيمه ووصل الى درجة عالية من الاهمية فى عهد المسيو لاكو المدير العام للاثار المصرية .

وفى عام ١٩١٠ قام مرقس سميكة باشا بانشاء المتحف القبطى فى مكانه الحالى بمصر القديمة بموافقة البابا كيرلس الخامس البطريرك الموجود فى ذلك الوقت ، حيث بدأ بغرفة واحدة بجوار الكنيسة المعلقة ليكون الحلقة الناقصة فى سلسلة تاريخ الفن المصرى .

وكان مرقس سميكة باشا فى ذلك الوقت عضو لجنة حفظ الاثار العربية وزميل مجمع الاثريين بلندن ورئيس لجنة دار الاثار العربية . وظل المتحف تابعا للكنيسة المعلقة ، وكان مدخله من باب يطل على الكنيسة حتى

جورجيت صادق

عام ١٩٣٧ حيث أصبح متحفا حكوميا تحت اشراف مصلحة الاثار .

وفى عام ١٩٤١ تم بناء جناح جديد به ، واتسع ليشمل حاليا ١٥ القطعة تمثل مختلف العصور .. ومنها ما هو قبل المسيحية .

ومن المعروف ان الكنيسة المعلقة والمتحف القبطى اقيما على اطلال حصن بابليون .

الحصن ..

اعاد الامبراطور الرومانى تراجان بناء حصن بابليون عام ٩٨م على نهر النيل ، فالحصن يرجع الى العصور الفرعونية ، والبعض من المؤرخين يرجع تاريخ بنائه فى عهد رمسيس الثانى الذى أسر بعض البابليين تبعا لرواية المؤرخ تيودور .

وكتب يوحنا اسقف نقيوس عن الحصن فى القرن السابع الميلادى ما يلى :

« وكان نبوخذ نصر قد بنى

عزت حبيب

بهذا المكان قلعة قديمة اطلق عليها قلعة بابليون وذلك عندما عاش فى مصر بعد ما استولى على مصر ، وبعد ان نفى اليها اليهود عقب هدمه اورشليم .

ويتفق المؤرخون على ان هذا الحصن استمد اسمه من اسم المدينة المصرية المجاورة للحصن والتى كانت تسمى بابليون ، والتى يرجع اسمها الى الاسم المصرى القديم « برحابى ان أون » أى مكان الاله حابى فى مدينة الشمس « مدينة أون » .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الطاووس رمزا للفردوس فى المسيحية

ويتضح مما سبق ان الحصن من اصل فرعونى ثم اعاد بناءه الرومان ، كما عرف باسم قصر الشمع لانه كان يضاء ليلا بالشموع التى توقد على جوانب أبراجه واسواره .

وقد بنى المسيحيون الكنائس على اطلال الحصن وذلك لسببين:

أولا ، زيارة العائلة المقدسة لهذه المنطقة وخاصة مكان الكنيسة المعلقة حاليا وكنيسة أبى سرجة

ثانيا : كان يوجد فى هذه المنطقة أكبر تجمع مسيحى ، وأيضا معظم اليهود الذين دخلوا فى المسيحية حيث كان المكان بمثابة عاصمة باعتباره مركزا تجاريا هاما لاطلاله على النيل والسفن التجارية .

تأثر واضح

بدات جولتنا داخل الجناح الجديد من المتحف وينقسم الى قسمين يبدأ . القسم الاول فى الدور السفلى بتسلسل العصور منذ القرن الاول الميلادى وحتى القرن التاسع عشر .

البداية قسم الاساطير اليونانية والمنقوشة معظمها على الاحجار فيوجد على سبيل المثال نموذج حجرى منقوش عليه « أفروديت » الهة الجمال عند اليونان ، وتظهر داخل قوقعة ، ويعبر هذا المشهد عن الولادة المتجددة .

كذلك يوجد نموذج لاسطورة الالهة « جايا » الهة محاربة الشر فى الارض ، وتظهر هذه الالهة داخل اكليل من الغسار وتجمعت الالهة وأعطتها هذا الاكليل عندما قتلت وهى تحارب الشر ، ويوجد اثنان من الملائكة عند طرف الاكليل يمسكان به ، وقد استخدم الفنان القبطى اكليل الغار فيما بعد للتعبير فى النقوش والرسوم عن الشهداء الذين نالوا اكليل الشهادة .

والقاعات التالية توضح ـ سواء فى النقوش على الاحجار او الاخشاب ـ تاثر الفن القبطى بالفن اليونانى الرومانى من جهة ، وبالفن الفرعونى من جهة أخرى والذى أثر بدوره على الفن الاسلامى بعد دخول العرب الى مصر فيما بعد ، فقد جاء فى كتاب المتحف القبطى الذى أصدرته هيئة الاثار عام ١٩٨٤ :

« من أجمل الاشكال الخشبية التى أبدعها المصرى تلك الشبابيك التى تسمى مشربية وهى تتكون من قطع صغيرة مخروطة ومثبتة بعضها فى بعض لتكون أشكالا هندسية وصلبان أو كتابة عربية وقبطية ، وقد صنعت الابواب والاسقف بنفس الطريقة بدون استعمال المسامير أو الغراء ، ويلاحظ أن هناك مسافات تركت فى الارابيسك حتى لايتلوى الخشب عند التمدد بالحرارة .. ويمكن القول بان هذا الفن من الارابيسك أو المعشق قد نشأ فى فن الحفر على الخشب الذى كان يستعمل كحشوات ويرجع الى القرن الثالث أوالرابع الميلادى أى قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون تقريبا ، وبعد تطور الفن القبطى فى العصر الاسلامى أصبح يعرف بالفن الاسلامى » .

وجاء ايضا فى موسوعة هيئة الاستعلامات : « ان القبط برعوا فى فن العمارة وكان لهم اثر واضح فى العمارة الاسلامية فيذكر الازرقى فى كتاب أخبار مكة :

« ان الكعبة المشرفة طفى عليها سيل عظيم قبيل ظهور الاسلام صدع جدرانها فاعادت قريش بناءها مستعينة فى ذلك بنجار قبطى يدعى « باخوم » كان يسكن فى مكة » .

ويذكر المؤرخون ان عمر بن عبد العزيز لما اعاد بناء الجامع النبوى فى المدينة عهد بذلك الى معماريين من القبط بنوا اول محراب مجوف فى الاسلام كما هو الحال فى بناء الكنائس .

ويذكر المقريزى قصة ابن كاتب الفرغانى وهو معمارى قبطى قام ببناء جامع ابن طولون ، ولشدة اعجاب أحمد بن طولون بعمله اعطاه اسم « أحمد » وكان هذا شائعا بين السلاطين والامراء فى ذلك الوقت .

وداخل القاعة رقم «٦» فى المتحف نجد مجموعة من الاثار القبطية تم العثور عليها بدير الانبا ارميا بسقارة .

وكان الاقباط قد اتخذوها بعد انتشار المسيحية معقلا لهم بعد ان زالت دولة الفراعنة .. وشيدوا فيها كثيرا من الكنائس والاديرة .

ومن الاثار الباقية فى المنطقة دير باسم الانبا أرميا والذى يرجع تاريخه الى القرن السادس الميلادى ، وأهم ما وجد فيه من الاثار ومعروض بالمتحف .. عدة تيجان لاعمدة من الاحجار عليها نقوش تمثل أوراق الشجر المعروف باسم الاكانثا فى أشكال وأوضاع توضح الافرع متموجة مما يدل على براعة الفنان الذى نحتها ، ونقوش تمثل أفرع الكروم وأوراقها لان عناقيد وأوراق العنب من الاشكال التى كان يعتز بها الفنان القبطى ويظهرها فى أعماله باستمرار .

كما يوجد منبر يرجع تاريخه الى القرن السادس الميلادى ، والى جانب سلالم المنبر المدرجة عمودان على الجانبين ويغلب الظن انه كانت توضع عليهما قطعة من الخشب يرتكز عليها الكتاب المقدس ليقرأ منه الكاهن ، وقد انتشرت بعد ذلك فكرة انشاء المنابر فى المساجد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

« باخوم » النجار .. تبطى أشرف على ترميم الكعبة المشرفة

كما توجد لوحة « فريسك » ـ رسم مباشر على الجدار ـ تظهر فيها السيدة العذراء وهى ترضع السيد المسيح ، وهذه اللوحة نادرة قلما تظهر فى الرسومات .

الطاووس

وفى القاعة الثامنة توجد لوحة رقم « ٤٦٥٦ » تسترعى الانتباه ـ وهى جزء من افريز من الحجر الجيرى من كنيسة مزينة بنقوش تمثل طاووسا واقفا بين أغصان الكروم وطيورا صغيرة تعشش بين الاغصان وهى رمز للمطوبين فى الفردوس ، والجدير بالذكر ان لهذا الطائر دورا كبيرا فى الفن المسيحى وكثيرا ما مثله القبط على آثارهم وفنونهم وشواهد قبورهم وعلى واجهات وأعتاب الكنائس كرمز للفردوس ..

ذلك أن هذا الطائر يفقد سنويا ـ معقدوم الشتاء ـ ريشه فيفقد جماله وبهجته ، ويستعيد نضارته وجماله عند قدوم فصل الربيع ، ثم عودته أكثر بهجة جعلت الفنان القبطى يتخذه مثلا لقيامة الجسد ، فكان الفنان القبطى يرسم الفردوس كحديقة غناء زاخرة بأشجار الكروم ومحملة بعناقيد العنب ، ويقف فى وسطها طائر الطاووس ويحيط به المطوبون على شكل طيور صغيرة قابعة بين الاغصان .. ورغم أن الطاووس يتميز عن سائر الطيور بتعاظمه وخيلائه ، الا أنه يمتاز بصفتين هما الطهارة والعفاف ، ولذلك كان يوجد على جدران الكنائس كدليل على جمال وطهارة بيوت العبادة .

المعمودية

وفى القاعة التاسعة من المتحف وهى آخر قاعات الدور الاول بالجناح الجديد توجد لوحة كبيرة الحجم من الجص تبين آدم وحواء قبل الخطية وبعدها ، وتظهر الحية قريبة من أذن حواء ، والجزء السفلى على اليمين رسم حصان مربوط الى شجرة وملجم كرمز لضبط النفس .

وفى وسط القاعة مقابل هذه اللوحة يوجد عمود يمثل المعمودية على شكل سلة بها وردة ثلاثية تمثل الثالوث وقد وضعت أمام فريسك آدم وحواء لتمثل التوبة بالمعمودية مقابل الخطيئة التى ارتكبها آدم وحواء .

مزامير داود

ويبدأ الدور العلوى من المتحف بالقاعة رقم «١٠» والتى يتوقف الزوار عندها طويلا حيث تضم حاليا أقدم مخطوط فى العالم وهو مخطوط المزامير والمعروض حاليا بالمتحف بعد العثور عليه عام ١٩٨٤ فى منطقه جبانة الملاة جنوب بنى سويف وبعد عدة ابحاث استمرت طوال هذه السنوات معمتاحف العالم الكبرى فى أوربا وأمريكا اتضح أن المخطوطة هى مزامير داود النبى وهو أقدم مخطوطة تحوى المزامير بأكملها فى العالم ويرجع تاريخها الى القرن الرابع الميلادى.

وفى حديث مع عزت حبيب اخصائى الترميم بالمتحف القبطى حول مخطوطة المزامير وعملية الترميم التى قام بها فريق متكامل من المصريين والاجانب قال :

بدأت عملية فك صفحات هذا المخطوط منذ عام ١٩٨٥ ويتكون من ٢٥٢ صفحة ويضم الـ ١٥١ مزمورا ، وهو مكتوب باللغة القبطية البهنساوية « لهجة مصر الوسطى » حيث توجد أكثر من لهجة قبطية فى مصر « بحيرى ، صعيدى ، بهنسى ، فيومى » .

وتبين أنها مكتوبة على الرق « جلد الغزال » داخل غلاف خشبى مكتوب عليه بالحبر الحديدى .

وقد قام الدكتور جودت جبرة الذى أشرف على عملية ترجمة هذه المزامير بمقارنةهذه المخطوطة بحوالى ٣٢ مخطوطا وكتابا قديما فى متاحف العالم ، وثبت لنا أن هناك مزامير مكتوبة بلغات أخرى ، ولكن هذه المزامير هى أول وأقدم مزامير باللغة القبطية فى العالم ، ومن الحبر المستخدم وورق الرق المكتوب عليها هذه المزامير يتضح مهارة وثقافة كاتب هذا المخطوط ، حيث أن جلد الغزال يحتاج الى مهارة خاصة فى الكتابة وهو نادر جدا حيث كان الورق المستخدم فى ذلك الوقت بشكل شائع هو ورق البردى ، والعجيب أن المخطوط وجد وهو مغلف بطبقة من الجلد وكعب من الجلد فى حالة سليمة كما وجد رباط من الجلد لربط الكتاب المخطوطة ، وكان هذا الاسلوب معروفا قديما لربط الكتب كما وجدت مع المخطوط قطعة من العاج غالبا كانت تستخدم للتذكير ولمعرفة مكان توقف القارىء عند صفحة معينة ونحن بصدد الحديث عن المخطوطات ، فالجدير بالذكر أن من مميزات العصر القبطى أنه العصر الذى ظهرت فيه صناعة الكتب لاول مرة فى تاريخ العالم حيث ظهرتفكرة تكوين المخطوطات من صفحات بأرقام مسلسلة .

ـ وفى النهاية .. لن ننسى أن نشير الى مكتبة المتحف التى تضم مجموعة نادرة من ذخائر الكتب والمخطوطات القديمة ، وقد ضم اليها أخيرا الموسوعة القبطية التى كتبها العالم الراحل د. عزيز سوريال عطية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية